الأب ايليا

١ ـ قال الأب ايليا : أخاف ثلاثة : عندما توشك نفسي أن تفارق جسدي ، وعندما انتصب أمام الله ، وعندما يصدر الحكم بحقي .

٢ ـ قالوا للأب ايليا في مصر عن الأب أغاثون[١] إنه صالح ، أجابهم الأب ايليا : هو صالح في جيله . فسألوه : وعند الأقدمين ، ما قيمته ؟ أجاب : قلت لكم إنه صالح في جيله ، ولكن بالنسبة للأولين فإني أقول لكم إنني قد رأيت في الاسقيط انساناً يقدر أن يوقف الشمس في السماء ، تماماً كما فعل يشوع بن نون . فلما سمعوا هذا ، ذهلوا ومجدوا الله[٢] .

٣ ـ قال الأب ايليا : ما قوة الخطيئة عندما توجد التوبة ؟ كذلك ، ما نفع المحبة عندما يظهر الكبرياء ؟

٤ ـ قال الأب ايليا : رأيت انساناً يحمل قرعة وخمراً تحت إبطه . ولكي أخجل الشياطين أن هذا وهم ، قلت للأخ : أَحسِنْ إليّ وارفع هذا . فلما شمّر عن ساعده وجد أنه لا يملك شيئاً . هذا قلته لكم ، حتى ، إذا رأيتم شيئاً بأم أعينكم ، وسمعتم به بآذانكم لا تقبلوه . فكم بالأحرى ينبغي أن تحفظوا ضمائركم وأفكاركم عالمين أن الشياطين تلقي هذا الشيء بغية تدنيس النفس ، فينشغل الذهن بغير الخطايا والله .

٥ ـ وقال أيضاً : يفكر الناس إمّا بالخطايا ، أو بالمسيح ، أو بالناس .

---

(١) كلمة « اغاثون » تعني صالح .

(٢) على الرغم من مضي ثلاثة أجيال على ظهور الرهبنة في الاسقيط فإنه لم يكن أحد، حسب الناس، يضاهي الأبرار القدامى.

٦ ـ قال أيضاً إذا لم يرتفع العقل الأعلى مع الجسد ، عبثاً نتعب لأن من أحب الضيق ينتقل إلى فرح وراحة .

٧ ـ حدّثنا هو نفسه أن أحد الشيوخ أقام في هيكل للأوثان ، فجاءت الشياطين تقول له : إرحل عن مكاننا . فقال لها الشيخ : أنتِ ليس لكِ مكان . فشرعت الشياطين تبعثر أغصان النخيل التي أمامه . أمّا الشيخ فأصرّ على أن يجمعها من جديد . فما كان من الشياطين إلاّ أن أمسكت بيده وجرّته الى الخارج . فلما وصل الشيخ إلى الباب ، أمسكه باليد الأخرى وهو يصرخ : يا يسوع أعنّي . وللحال اختفت الشياطين ، فبدأ الشيخ يبكي . فقال له الرب : لماذا تبكي ؟ قال الشيخ : لأنهم يتجاسرون على الانسان ويعبثون به هكذا . أجابه الرب : أنت تقاعستَ . ولكن لما طلبتني ، هل رأيت كيف أسرعت إلى نجدتك ؟ هذه أقولها لكي أثبت أننا بحاجة إلى تعب كثير ، إذ بدون التعب لا يقدر أحداً أن يكون مع الله . فالله قد صلب لأجلنا .

٨ ـ زار أحد الإخوة الأب ايليا الهدوئي ، في دير القديس سابا وقال له : يا أبتِ ، قل لي كلمة ، أجاب الأب : في أيام آبائنا كانت الفضائل الثلاث : اللاقنية ، والامساك والوداعة ، محبوبة جداً . والآن ، يسود بين الرهبان الطمع والشراهة والوقاحة . وأمّا أنت ، فاحتفظ بما تشاء .

الأب هيراقليون

١ ـ حورب أحد الإخوة ، فأطلع الأب هيراقليون على ذلك . فقال الأب مشدّداً إياه : انه كان لأحد الشيوخ تلميذ دائم الطاعة ، هذا حورب مرة فسجد أمام أبيه قائلا : ساعدني كي أصير راهباً . قال له أبوه : اختر مكاناً فنصنع لك فيه قلاية ، ففعل . فصنعوا له . ثم قال للأخ : افعل ما أوصيك به . عندما تجوع ، كل واشرب ونم . فقط لا تبارح القلاية حتى السبت حيث تأتي بعد ذلك إليّ . فعمل الأخ بهذه الوصية يومين لكنه تضجّر في الثالث ، فقال : ترى لماذا فعل بي الشيخ هكذا ؟ فنهض وأنشد مزامير عديدة ، وبعد غروب الشمس ، تناول طعامه وخرج لينام على بساطه ، فرأى حبشياً ممدداً يصرّ بأسنانه عليه ، فطفق يركض خائفاً جداً حتى جاء إلى الشيخ وقرع بابه وقال : يا أبتِ ، ارحمني وافتح لي . فلما أدرك الشيخ أنه لم يحفظ قوله ، لم يفتح له حتى الصباح إذ وجده مُلحّاً في طلبه ، فتحنن عليه وأدخله . فقال الأخ : ارجوك يا أبتِ ، عندما خرجت لأنام رأيت ، في بساطي ، حبشياً . قال له الأب : لقد حل بك هذا لأنك لم تحفظ قولي . ثم بعد أن لقّنه ، ما استطاع ، قوانين السيرة الرهبانية ، أطلقه . وما هي إلاّ فترة قصيرة حتى صار هذا الأخ راهباً صالحاً .

الأب ثيوذورس الفرّيمي

١ ـ كان عند الأب ثيوذورس الفرّيمي ثلاثة كتب جيدة ، فزار الأب مكاريوس وقال له : يا أبتِ ، عندي ثلاثة كتب جيدة انتفع منها ، والإخوة أيضاً يستخدمونها وينتفعون . قل لي ما ينبغي أن أعمل ؟ هل أحتفظ بها لمنفعتي ومنفعة اخوتي ، أم أبيعها لكي أعطي الفقراء ؟ أجابه : حسنة الأعمال ، لكن عدم القنية أثمن من كل شيء . فلما سمع هذا الكلام ، مضى وباع الكتب موزّعاً ثمنها على المحتاجين .

٢ ـ اضطرب أخ من الوحدة وهو في القلالي ، فقام ومضى إلى الأب ثيوذورس الفرّيمي وأطلعه على أمره . فأجابه : إذهب وتواضعْ بفكرك واخضع للإخوة بمكوثك معهم . فمضى ، إلاّ أنه عاد بعد حين وقال له من جديد : لست مرتاحاً أيضاً مع الناس يا أبتِ . أجابه الأب ثيوذورس : لما كنت تعيش لوحدك لم تكن تجد راحة ، وكذلك لما عشت مع الآخرين . قل لي : لماذا طلبت الحياة الرهبانية ؟ أوَليس من أجل احتمال الضيقات ؟ قل لي : كم سنة لك في هذا الاسكيم ؟ أجابه الأخ : ثمانية أعوام . قال له الأب : في الحقيقة يا بني ، إنّ لي في هذا الاسكيم سبعين سنة لم أجد راحة حتى ولا يوماً واحداً . فكيف تطلب الراحة في ثماني سنين ؟ فلما سمع هذا الكلام ، مضى متشدداً .

٣ ـ زار أحد الاخوة الأب ثيوذورس وأقام عنده ثلاثة أيام متوسلاً إليه أن يسمع منه كلمة . أمّا الشيخ فلم يكن يجيبه . فخرج حزيناً . فقال تلميذ ثيوذورس : لماذا

تركته حزيناً دون أن تقول له كلمة يا أبتِ ؟ قال الشيخ : في الحقيقة لم أكن أشاء أن أقول له شيئاً ، لأنه تاجر ويبغي أن يتمجد بكلمات غريبة[1] .

٤ ـ وقال أيضاً: إذا توطدت بينك وبين انسان صداقة ، وحدث أن سقط هذا الصاحب في الزنى ، مُدَّ له اليد إذا كان بمقدورك لكي تجتذبه إلى فوق. وإذا ما وقع في هرطقة (بدعة) ولم يقتنع بكلامك ، فاقطع صلتك به للحال ، لئلا تسقط أنت أيضاً إذا تأخرت .

٥ ـ قالوا عن الأب ثيوذورس الفرّيمي إن أموراً ثلاثة كان يحترمها أكثر من سواها : اللاقنية ، النسك ، والهرب من الناس .

٦ ـ حدث أن أقام الأب ثيوذورس مع الاخوة . فلما كانوا يأكلون ، كانوا يأخذون كؤوس الماء بورع وخشوع ، وهم صامتون ، دون أن يقولوا العبارة المألوفة « عفواً » . فقال الأب ثيوذورس : لقد فقد الرهبان أدبهم عندما تخلوا عن كلمة « عفواً » .

٧ ـ ثم سأله أحد الاخوة قائلاً : هل ترى أنني أفعل حسناً عندما أنقطع عن الخبز بضعة أيام يا أبتِ ؟ قال له الشيخ : حسناً تفعل لأني أنا نفسي كنت أفعل هكذا . فقال له الأخ : اريد إذاً أن أضع الحمّص في المطحنة لأطحنه . فقال له الأب : لكن إذا كنت تنوي الذهاب الى المطحنة ، أعدد خبزك . لأنه ما الحاجة من جراء هذا التحويل ؟ .

٨ ـ جاء أحد الآباء الى الأب ثيوذورس وقال له : أنظر ! ها إن الأخ الفلاني قد عاد إلى العالم . قال له الشيخ : ألهذا تتعجب ؟ لا تتعجب لهذا ؛ خير لك أن تتعجب عندما تسمع أن أحداً تمكّن من الهرب من فم العدو .

٩ ـ جاء أحد الاخوة الى ثيوذورس وبدأ يحدثه عن أمور لم يصنعها بعد . فقال له

---

(١) ويقصد الراهب أن الضيف كان تاجر كلام أقوال الآباء إلى الآخرين مدّعياً أنها له . ومن المعقول جداً أنه كان يدوّن ما يسمع .

الشيخ : لم تجد السفينة ولا وضعت امتعتك بعد ، لأنك قد بلغت المدينة المنشودة قبل أن تبحر اليها . قبل أي شيء ، قم بعملك ، وبعد ذلك تكلم على كل ما تخبرنا به .

١٠ ـ زار الأب ثيوذورس الأب يوحنا الخصي (منذ مولده) ، ولما كانا يتحدثان ، قال : لما كنت في الاسقيط ، كانت أمور النفس شغلنا الأول ، وعمل اليد أمراً ثانياً . أمّا الآن فقد صارت أمور النفس ثانوية ، وعمل اليد هو الأساس .

١١ ـ سأله أحد الاخوة : وما هو عمل النفس الذي صار عندنا ثانوياً ، والثانوي الذي صار أساسياً ؟ أجابه :«إن كل ما يتم بسبب وصية الله هو عمل النفس . أما الاجتماع من أجل الحساب[1] فهذا ينبغي أن يصير ثانوياً . فقال الأخ : أوضح لي هذا الأمر يا أبتِ . قال الشيخ : إذا سمعت أني مريض وينبغي أن تزورني ، أتقول في نفسك: «هل يجب أن أترك عملي لأقوم بهذه الزيارة؟ سأنهي عملي أولاً ، وبعد ذلك اذهب». وقد تأتيك فكرة أخرى فلا تذهب أبداً . أو ربما يقول لك أحد الاخوة : مدّ لي يد العون يا أخي ، فتقول : «أينبغي أن أترك عملي وأذهب لمساعدته ؟ » . فإذا لم تذهب تكون قد أهملت وصية الله التي هي « عمل النفس » ، وانشغلت بما هو ثانوي ، أي « عمل الأيدي » .

١٢ ـ قال الأب ثيوذورس الفرّيمي : إن من يقيم في التوبة لا يتقيّد بوصية .

١٣ ـ هو نفسه قال : ليس ثمة فضيلة مثل عدم الازدراء .

١٤ ـ إن من عرف حلاوة القلاية لا يتحاشى القريب من بهدف اهانته .

١٥ ـ وقال أيضاً : إذا لم أقطع نفسي من الائتناس والتعاطف فلن تتركني أصير راهباً .

---

(١) الدينونة .

١٦ ـ وقال أيضاً : كثيرون قد اختاروا الراحة هذه الأيام قبل أن يعطيهم إياها الله .

١٧ ـ وقال أيضاً : لا تنم في مكان تقيم فيه امرأة .

١٨ ـ سأل أخ الأب ثيوذورس قائلاً : أريد أن أتمّم الوصايا . فحدّثه الأب ثيوذورس عن الأب ثيونا الذي قال : « أريد أن أملأ فكري بالله ، فأخذ طحيناً من الطاحون وصنع منه خبزاً فلما طلب منه الفقراء صدقة أعطاهم الخبز . ثم جاء آخرون وطلبوا ، فأعطاهم السلال والثياب التي كانت عليه ، ودخل الى القلاية واضعاً غطاء رأسه على حقويه . وبالرغم من كل هذا ، كان يلوم نفسه قائلاً : لم أتمم وصية الله .

١٩ ـ مرض الأب يوسف ذات مرة ، فأرسل يطلب الأب ثيوذورس قائلاً : تعال لأراك قبل أن أرحل عن هذا العالم . وكان منتصف الأسبوع ، فلم يذهب ، بل بعث يقول له : إذا بقيت حتى السبت ، سآتي اليك ، ولكن إذا رحلت قبل ذلك ، فإننا سنلتقي في ذلك العالم .

٢٠ ـ سأل اخ الأب ثيوذورس قائلاً : قل لي كلمة لأني أكاد أن أهلك . أجابه الأب بصعوبة : أنا في خطر . ترى ماذا أقدر أن أقول لك ؟

٢١ ـ قدم أخ إلى الأب ثيوذورس ليتعلم منه الخياطة وقد أحضر معه القماش . أمّا الشيخ فقال له : إذهب وعد إلى هنا في الصباح . فنهض الأب وبلل له القماش وأعد له كل شيء وقال : اعمل هكذا وهكذا ، ثم تركه إلى قلايته وجلس هناك . ولما حان وقت الغذاء أعد له طعاماً ثم أطلقه . فعاد صبيحة اليوم التالي ، فقال له الشيخ : خذ أغراضك واذهب لأنك أتيت الى هنا لتجرّبني وتشغلني . ولم يتركه بعد ذلك في القلاية .

٢٢ ـ قال تلميذ الأب ثيوذورس : ذات يوم جاء انسان الى هنا يبيع بصلاً وملأ لي

سلتي . فقال الشيخ ثيوذورس : املأ له قمحاً واعطه . وكانت هناك كومتان من القمح الواحدة نظيفة والأخرى غير نظيفة . فملأت للرجل من القمح غير النقي . فنظر إلى الأب ثيوذورس بحزن شديد . أمّا أنا فلشدة خوفي ، وقعت على الأرض ، فانكسر الوعاء ، فصنعت له سجدة تائباً . فقال الشيخ : إنهض . لست أنت المسؤول إنما أنا المخطىء لأني سألتك . ثم دخل وملأ حضنه قمحاً نقياً وأعطاه للرجل مع البصل .

٢٣ ـ خرج الأب ثيوذورس مع أحد الاخوة ليملأ جرته من البئر ، وكان الأخ قد سبق الأب ثيوذورس إلى البئر ، فرأى هناك تنيناً ، فقال له الأب : إذهب واسحق رأسه . لكنه ، لشدة الخوف ، لم يذهب . فتقدم الأب وما كان من الوحش ، لما رآه ، إلاّ أن هرب الى الصحراء .

٢٤ ـ سأل أحد الاخوة الأب ثيوذورس : إذا حصل بغتة انحراف في الأرض ، ألا تخاف يا أبتِ ؟ قال له الأب : إذا التصقت السماء بالأرض ثيوذورس لا يخاف . لأنه تضرع إلى الله أن يفارقه الجبن والخوف . هذا هو السبب الذي جعل الأخ السائل يسأل الأب ثيوذورس .

٢٥ ـ قالوا عنه إنه لما سيم شماساً في الأسقيط ، لم يرد أن يقبل الشموسية ، إنما هرب الى أماكن متعددة ، فأحضره الآباء قائلين : لا تترك خدمتك . قال لهم الأب ثيوذورس : اتركوني أصلّي الى الله لكي يؤهلني الثبات في عملي . فصلّى إلى الله وقال : يا رب إذا كانت مشيئتك أن أكون ههنا ، فاكشف لي الأمر . فظهر له عمود من نار انتصب من الأرض الى السماء وسمع صوتاً يقول : إذا كنت تقدر أن تصير كهذا العمود إذهب وكن شماساً . فلما سمع هذا الكلام ، قرر أن يرفض الشموسية . ولما جاء الى الكنيسة ، صنع له الاخوة مطانية وقالوا : إذا كنت لا تريد أن تكون شماساً ، احمل الكأس على الأقل . فرفض

٢٦ ـ قالوا عنه انه لما هجر الاسقيط ، جاء ليقيم في فريم . ولما شاخ ، مرض ،

فأحضروا له بعض الأطعمة . فما كان يجلبه له الأول كان يعطيه للثاني ، وهكذا كان على الدوام يعطي كل ما يقدم له . ولما كان يحين وقت الطعام ، كان يأكل مما يقدمه له الأخير .

٢٧ ـ قالوا عنه انه ، لما كان في الاسقيط ، قدم اليه الشيطان يريد الدخول إلى قلايته . فربطه في الخارج . وبعد ذلك جاء شيطان آخر ، فربطه إلى جانب رفيقه أيضاً . ثم جاءه ثالث فوجد رفيقيه موثقين ، فقال لهما : لماذا أنتما ههنا ؟ قالا له : إنه يجلس في الداخل ولا يسمح لنا أن ندخل . فلجأ هذا الى العنف محاولاً الدخول . فربطه الأب إلى جانب رفيقيه . فلما خافوا من صلاته طلبوا منه قائلين : أطلقنا . فقال لهم : إذهبوا ، فمضوا خجلين .

٢٨ ـ قال أحد الآباء عن الأب ثيوذورس : جئت إليه مرة وقت الظهيرة فوجدته لابساً عباءته الممزقة (البالية) وصدره مكشوف وقبعته أمامه . فجاء أحد النبلاء يريد أن يراه . هذا ، لما قرع الباب ، خرج الشيخ ليفتح له . فقبّله وجلس عند الباب يحدثه . فتناولت قطعة قماش وطرحتها على كتفيه . أمّا هو فمد يده ورماه . ولما مضى الزائر ، قلت له : يا أبتِ ، لماذا فعلت هكذا ؟ الرجل جاء لينتفع لا ليشك ويعثر ؟ قال لي : ماذا تقول يا أبت ، إلى الآن نعمل للناس ؟ لقد قمنا بالحاجة ، وها قد رحل . إن من يريد أن ينتفع فلينتفع ، ومن يريد أن يعثر فليعثر . أمّا أنا فأضيف الناس كما أنا . ثم أوصى تلميذه قائلاً : إذا جاء أحد يريد أن يراني ، لا تقل له أبداً أمراً إنسانياً . إذا كنت آكل ، قل : هو يأكل . وإذا كنت نائماً ، قل : إنه نائم .

٢٩ ـ نزل عليه مرة ثلاثة لصوص . فأمسكه اثنان ، أمّا الثالث فكان ينقل الأمتعة . وبعد أن اخرجوا الكتب ، همّوا بأخذ العباءة ، فقال لهم : هذه اتركوها . أمّا هم فلم يعبأوا به . فلما حرك يديه رمى اللذين كانا يمسكانه . فلما رأوا ذلك ، فزعوا . فقال لهم : لا تخافوا . اقسموا الغنائم الى أربعة ، ثم خذوا الثلاثة واتركوا الربع الأخير لي . ففعلوا . أمّا هو فكانت حصته

العباءة التي يرتديها في الإجتماعات[1] .

الأب ثيوذورس الأناتي

١ ـ قال الأب ثيوذورس الأناتي[2] : لما كنت شاباً وكنت أقيم في البرية ، ذهبت إلى المطحنة لأحضر خبزتين ، فرأيت هناك أخاً يهيء خبزه ولم يكن له من يساعده . فتركت خبزي ومددت له يد العون . ولما انتهيت ، جاء آخر ، ففعلت معه الأمر نفسه . ثم جاء ثالث ، ففعلت معه كذلك . وهكذا كانت حالي مع جميع القادمين إلى المطحنة . وبعد ان انصرف الجميع ، اعددت خبزتيّ وانصرفت .

٢ ـ قالوا عن الأبوين ثيوذورس ولوقيوس الأناتيين إنهما أمضيا ٥٠ سنة يسخران من أفكارهما ويقولان : بعد هذا الشتاء سنرحل من هنا . ولما كان الصيف ، كانا يقولان : بعد هذا الصيف نرحل من هنا . وهكذا عاش هذان الأبوان الدائما الذكر طيلة حياتهما .

٣ ـ قال الأب ثيوذورس الأناتي : إذا حاسبنا الله على كسلنا في الصلاة وفتورنا في التراتيل ، لا يمكننا أن نخلص البتة .

---

(١) الإجتماعات هي اللقاءات الليتورجية التي كانت تجمع الإخوة في بيت الله .

(٢) تقع هذه المنطقة في القسم الجنوبي الغربي من الإسكندرية . وكان فيها مجمّع رهباني . والمطحنة التي يؤتى على ذكرها في هذا النص هي عبارة عن فرن كبير .

الأب ثيوذورس الذي من الاسقيط

١ ـ قال الأب ثيوذورس الذي من الاسقيط : يأتي الفكر فيزعجني ويشغلني ولا يساعدني على القيام بعملي ، انما كل شأنه أن يعيقني عن الفضيلة . أمّا الرجل الصاحي فينهض للصلاة عندما يهاجمه الفكر .

الأب ثيوذورس المواطن الحر

١ ـ سأل الأب ابراهيم الأيبيري الأب ثيوذورس المواطن الحر قائلاً: ما الأحسن يا أبت ، اقتناء المجد أم الهوان ؟ اجابه الشيخ : من جهتي ، أنا أريد مجداً لا هواناً ، لأني ، إذا قمت بعمل حسن وتمجدت ، أقدر أن أدين أفكاري بأني لست أهلاً لهذا المجد . أمّا الهوان فيأتي من الأعمال الشريرة . كيف إذاً أستطيع أن أعزي قلبي عندما يعثر أناس كثيرون بسببي ؟ خير لك عندئذ أن تعمل الخير وتتمجد . فقال الأب ابراهيم : بالصواب نطقت يا أبت .

الأب ثيوذوتس

١ ـ قال الأب ثيوذوتس : ان حاجة الخبز تذيب جسد الراهب . وقال أب آخر : لكن السهر يذيب الجسد أكثر .

الأب ثيوناس

١ ـ قال الأب ثيوناس : بسبب انشغال العقل الأعلى في غير رؤية الله ، نسقط أسرى الأهواء الجسدية .

المغبوط رئيس الأساقفة ثيوفيلوس

١ ـ زار رئيس الأساقفة المغبوط ثيوفيلوس جبل النطرون فاستقبله رئيس الجبل ، فقال له رئيس الأساقفة : ماذا وجدت في درب هذه الحياة يا أبت ؟ أجابه الشيخ : أن ألوم نفسي وأن انتقدها دائماً . قال له الأسقف : ليس ثمة طريق آخر يا أبت .

٢ ـ زار هو نفسه الاسقيط . فلما اجتمع الاخوة ، قالوا للأب بمفو : قل كلمة للأب فينتفع . قال لهم الشيخ : إذا لم ينتفع بصمتي ، لا يمكنه أن ينتفع بكلامي .

٣ ـ قدم بعض الآباء إلى الاسكندرية بدعوة من رئيس الأساقفة ثيوفيلوس ، من أجل الصلاة وهدم الهياكل الوثنية . فلما جلسوا لتناول الطعام ، دفع اليهم لحم عجل ، فأكلوا بدون تمييز . ثم مدّ رئيس الأساقفة يده وتناول قطعة من اللحم ودفعها إلى الراهب الجالس إلى جانبه وقال له : خذ يا أبت هذه قطعة جيدة . فأجاب الحاضرون : نحن ، إلى الآن ، كنا نأكل البقول ، ولكن إذا كان ثمة لحم ، فلنأكل . فتوقف الحاضرون عن الأكل منه .

٤ ـ قال الأسقف نفسه : أي خوف وهلع وضيق نرى عندما تنفصل النفس عن الجسد . لأن قوة القوى المضادة تصل إلينا ، ورؤساء الظلام وقادة الشر في العالم وأرواح الشر ، بحكم ، يغتصبون النفس ويقدمون كل خطاياها التي بمعرفة والتي عن جهل ، من سن الشباب حتى لحظة انفصالها . فتنتصب تشكو أعمال النفس كلها . إذن أي هلع يصيب النفس في تلك الساعة حتى

يخرج القضاء وتصبح حرة ؟ هذه هي ساعة ضيقها ، حتى ترى ما سيحدث لها . ومن الجهة الثانية ، تنتصب القوى الإلهية في مواجهة مع الأخصام ، وهذه ، بدورها ، تورد أعمال النفس الصالحة . افهم إذن أي هلع وخوف يحلان في النفس إلى أن يصدر الديّان العادل حكمه عليها . فإذا كانت مستحقة ، تنتهر تلك القوى وتوبخ وتخطف النفس منها ، فتطمئن وتسكن ، كما هو مكتوب : « فيرنم جميع الساكنين فيك » (مزمور ٨٦ : ٧) . عندئذ يتم المكتوب « ابتعد وزال الألم والحزن والتنهد » (أشعياء ٢٦ : ١٠) . وهكذا ، عندما تنعتق ، تنطلق إلى ذلك الفرح الذي لا ينطق به ، الذي فيه تنهض من جديد . ولكن إذا عاشت في الكسل ، فإنها ستسمع الصوت المريع : « ليبتعد عديم التقوى حتى لا يعاين مجد الرب » (أشعياء) . عندئذ يمسك بها يوم غضب وضيق وظلام وضباب . وعندما تُسلّم إلى الظلمة الخارجية ويحكم عليها بالنار الأبدية ، تعاقب إلى الدهور التي لا تنتهي . عندئذ أين يكون افتخار العالم والمجد الفارغ والتنعم والراحة والأوهام والخيالات واللذة والمال والشرف والأب والأم والأخ ؟ من يقدر أن يخرج هذه التي تتلظى بالنار وترزح تحت العذابات المرة ؟ كيف نكون في سلوكنا وتقوانا ؟ أية محبة ينبغي أن نقتني ؟ أية سيرة ؟ أية حياة ؟ أي درب ؟ أية دقة ؟ وأية صلاة وحرص ؟ لأنه يقول : «فإذا أنتم تنتظرون ذلك أيها الأحباء ، فاجتهدوا أن توجدوا لديه في السلام بلا دنس وعيب » (٢ بطرس ٣ : ١٤) . لكي نستحق أن نسمعه يقول : « تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعدّ لكم منذ إنشاء العالم إلى دهر الداهرين أمين » (متى ٢٥ : ٣٤) .

٥ ـ عندما أوشك رئيس الأساقفة أن يغادر هذا العالم ، قال : هنيئاً لك يا ارسانيوس لأنك كنت تتذكر هذه الساعة دائماً .

الأم ثيوذورا

١ ـ سألت الأم ثيوذورا الأب ثيوفيلوس عن معنى قول الرسول « مفتدين الوقت » (افسس ٥ : ١٦) فقال لها : الجملة هذه تشير إلى الربح . فإذا كنت في لحظة شتيمة أو إهانة ، افتدي وقت الإهانة بالتواضع وطول الأناة واكسبي لنفسك ربحاً . وفي وقت الهوان ، افتدي الوقت بالصبر ، فتربحي . وكل الأمور المضادة يمكن أن تصير لنا ربحاً ، شرط إرادتنا .

٢ ـ قالت الأم ثيوذورا : جاهدوا لكي تدخلوا من الباب الضيق . لأنه كما أن الشجرة ، إذا لم تتعرض للرياح والعواصف والأمطار ، لا يمكنها أن تأتي بثمر ، هكذا الحال بالنسبة إلينا أيضاً . هذا الدهر شتاء قاس . وبدون ضيقات وتجارب متنوعة يمكننا أن نرث ملكوت الله .

٣ ـ وقال أيضاً : حسنة حياة السكينة ، لأن الرجل العاقل يعيش بالهدوء . إنه في الحقيقة نفع كبير للعذراء والراهب معاً ، أن يعيشا في الهدوء ، خاصة في سن الشباب . ولكن اعلموا أنه إذا أراد الإنسان أن يبلغ الهدوء ، للحال يأتي الشيطان ويثقل النفس بالفتور وصغر النفس والأفكار ، كما يثقل الجسم بالأمراض والضعف وانحلال المفاصل وسائر الأعضاء ويحل قوة النفس والجسد معاً ، فيقول الإنسان أنا مريض ولست أقدر أن أقيم الخدمة والصلاة . لكن إذا صحونا ، تزول هذه كلها . كان ثمة راهب ، كلما أراد أن يقيم الخدمة والصلوات ، تضربه قشعريرة وحمى فيبدأ رأسه يزعجه ويؤلمه ، فيقول لنفسه : هاءنذا مريض وعما قليل أرقد . فلأنهضنّ ، إذاً ، وأتلُ

صلاتي قبل أن أغادر هذا العالم . وبهذه الفكرة كان يقيم الخدمة والصلاة . ولما كان يوشك أن ينهي الخدمة ، تفارقه الحمى . وهكذا تابع الأخ صلواته وغلب الفكر الشرير .

٤ ـ وقالت هي نفسها : ذات مرة شتم أحدهم شخصاً تقياً ، فقال له : كان بمقدوري أن أردّ عليك بالمثل ، إلاّ أن شريعة الله تلجم فمي . وقالت أيضاً : بينما كان أحد المسيحيين يتحدث عن الجسد مع إنسان ماني ، قال : أعط الشريعة إلى الجسد ، تجد الجسد إلى جانب الخالق .

٥ ـ وقالت هي نفسها : ينبغي أن يكون المعلِّم غريباً عن حب التسلط والمجد الفارغ ، وبعيداً أيضاً عن الكبرياء ، لئلا يسقط فريسة التملق ، ولئلا تعمى بصيرته من الهبات ويُستعبد لبطنه فيسوده الغضب ؛ وليكن طويل الأناة حكيماً مترفقاً متواضعاً من كل القدرة ، مجرَّباً ، كثير الإحتمال ، متأهباً ومحباً للنفس .

٦ ـ وقالت هي نفسها : لا النسك ولا السهر ولا أي وجع يخلّص الإنسان ، سوى التواضع الأصيل . كان ثمة راهب يبعد الشياطين ويسألهم : بماذا تخرجون ؟ هل تخرجون بالصوم ؟ فكانوا يجيبونه : نحن لا نأكل ولا نشرب . بالسهر ؟ نحن لا ننام . بالإنصراف عن العالم ؟ نحن نعيش في البراري . إذاً ، بماذا تخرجون ؟ فكانوا يقولون إن لا شيء ، كالتواضع يقهرنا . أترى إذاً كيف أن التواضع يحقق الغلبة على الشياطين .

٧ ـ وقالت أيضاً : قال راهب رحل من هنا بسبب كثرة التجارب إنه عندما انتعل حذاءه ، رأى إنساناً آخر ينتعل حذاءه أيضاً ، فقال له : وهل أنت راحل بسببي ؟ ها إني أسبقك إلى حيث تنتقل .

الأب يوحنا الكولوفي

١ ـ قالوا عن الأب يوحنا إنه عندما مضى إلى طيبة الى شيخ في الاسقيط ، أقام في البرية . فأخذ أبوه الروحي عصاً يابسة وغرسها في الأرض وقال : اسقها كل يوم قليلاً من الماء حتى تثمر . وكانت الماء بعيدة عنهما مسيرة ليلة كاملة . ولكن بعد ثلاث سنين ، أثمرت العصا فقطف الأب ثمرها وجاء به إلى الكنيسة وقال للإخوة : خذوا كلوا من ثمار الطاعة .

٢ ـ قالوا عن الأب يوحنا إنه قال لأخيه الأكبر مرة : أريد أن أكون بلا همّ كما هو حال الملائكة الذين لا يشتغلون بل يعبدون الله بدون توقف . ثم طرح عنه عباءته وخرج الى البرية . وبعد أسبوع عاد وقرع الباب ، فأجابه أخوه قبل أن يفتح : من الطارق ؟ قال له : أنا يوحنا أخوك . قال له : يوحنا أخي صار ملاكاً ولم يعد بين البشر . فرجاه يوحنا أن يفتح له قائلاً : أنا أخوك يوحنا . لكنه لم يفتح أيضاً . بل تركه عند الباب حزيناً حتى الصباح حيث فتح له وقال : أنت انسان وتحتاج إلى عمل لتعيش . فسجد له وقال : سامحني يا أخي .

٣ ـ قال الأب يوحنا : إذا أراد ملك الاستيلاء على مدينة ، فإنه يمنع عنها الطعام والماء أولاً ، فيستسلم له سكانها بسبب الجوع . هكذا هو حال أهواء الجسد . إذا عاش الانسان بالصوم والجوع ، فإن أعداء النفس تمرض .

٤ ـ وقال أيضاً : الشبعان إذا ما تكلم مع صبي ، يزني بفكره معه .

٥ ـ وقال أيضاً : بينما كنت سالكاً طريق الاسقيط حاملاً السلال ، لاحظت أن الجمّال كان يكلمني ويحثني على الغضب ، فتركت السلال وهربت .

٦ ـ هو نفسه في وقت الحصاد سمع أخاً يتكلم ضد قريبه بغضب ويقول : وأنت أيضاً ؟ فترك البيدر وهرب .

٧ ـ وجد بعض الشيوخ في الاسقيط الوقت ليأكلوا معاً ، وكان بينهم الأب يوحنا . فنهض كاهن كبير ليقدم إبريق الماء للاخوة ، فلم يقبله منه أحد سوى يوحنا . فتعجب الحاضرون وقالوا له : كيف وأنت الصغير بيننا تجاسرت وقبلت أن يخدمك الكاهن ؟ قال لهم : أنا عندما أنهض لأقدم الإبريق للاخوة ، أفرح إذا ما قبله الجميع من يدي ، وذلك لأنال أجراً . للسبب عينه قبلت منه الإبريق لكي أقدم له أجراً ، لأنه ربما حزن إذا رفضنا تقدمته . ولما قال هذا ، تعجب الجميع وانتفعوا من قوة تمييزه .

٨ ـ هو نفسه ، بينما كان جالساً في الكرسي الأمامي من الكنيسة ، أحاط به الاخوة ، وعرضوا عليه أفكارهم . فلما رآه أحد الشيوخ ، دبّ الحسد إلى قلبه فقال له : إبريقك يا يوحنا مملوء سمّاً . أجابه يوحنا : نعم يا أبت . لقد قلت هذا لأنك رأيت ما في الخارج فقط . ماذا كنت ستقول لو رأيت ما في الداخل أيضاً ؟

٩ ـ قال الآباء، إن أحدهم ضحك فيما كانوا معاً إلى المائدة يأكلون فلما رآه الأب يوحنا بكى قائلاً: ترى ماذا يحمل هذا الأخ في قلبه حتى يضحك. أما كان ينبغي عليه بالأحرى أن يبكي ، لأنه يأكل في مائدة المحبة؟[1]

١٠ ـ جاءه بعض الاخوة ليجربوه ، لأنه لم يكن يترك أفكاره تسرح ، كما ولم يكن يتكلم على أمور هذا الدهر . قالوا له : نشكر الله الذي جعل السماء تمطر هذا العام حتى ترتوي أشجار النخيل وتخرج براعم ، فيجد الاخوة عمل أيديهم . قال لهم الأب يوحنا : هكذا هو الروح القدس . عندما ينزل في قلوب الناس ، تتجدد وتخرج براعم بمخافة الله .

---

(١) إشارة إلى العشاء السري.

١١ ـ قالوا عنه إنه حاك مرة حبلاً يكفي لصنع سلّتين ، إلا أنه صنع منه واحدة فقط ولم ينتبه لعمله هذا إلاّ حينما وصل إلى الحائط ، لأن فكره كان منشغلاً بمعاينة الله .

١٢ ـ قال الأب يوحنا : إنني أشبه إنساناً يجلس تحت شجرة كبيرة يراقب وحوشاً كثيرة وزحافات تقترب منه . فعندما لا يحتمل أن يثبت أمامها ، يهرع إلى الشجرة فينجو ، هذه هي حالتي . أقيم في قلايتي وأبصر فوقي الأفكار الشريرة . وعندما لا أستطيع أن أسيطر عليها ، ألتجيء الى الله بالصلاة ، فأنجو من العدو .

١٣ ـ قال الأب بيمن عن الأب يوحنا الكولوفي إنه تضرع إلى الله ، فابتعدت عنه أهواؤه ، وصار بدون همّ . عندئذ ذهب إلى أحد الشيوخ وقال له : إني أرى نفسي في راحة لا في حرب . قال له الشيخ : إذهب وتضرع إلى الله حتى تعاودك الحرب وانسحاق القلب والتواضع التي كانت لك فيما مضى . فالنفس بالحروب تنمو وتتقدم . فتضرع يوحنا الى الله ، ولما جاءته الحرب ، لم يصلّ لكي تفارقه ، بل كان يقول : يا رب أعطني الصبر في الحروب .

١٤ ـ قال الأب يوحنا إن أحد الشيوخ رأى رؤيا بينما كان في حالة الوجد . منها ثلاثة رهبان واقفون عبر البحر ، فجاءهم صوت من الجهة الأخرى يقول : اتخذوا أجنحة نار وهلمّوا إليّ . فأخذ اثنان أجنحة وطارا إلى الجهة الأخرى ، أمّا الثالث فبقي في مكانه وكان يبكي بشدة ويصرخ . بعد ذلك أعطيت له أجنحة أيضاً لم تكن كالأولى إنما كانت ضعيفة وغير قوية . وبالجهد كان يقوى على الطيران حتى بلغ الجهة الأخرى . كذلك هو هذا الجيل ، إذ بالرغم من أنه يتخذ أجنحة ، إلاّ أنها ليست نارية بل ضعيفة ومريضة للغاية .

١٥ ـ سأل أخ الأب يوحنا قائلاً : كيف أن نفسي المثخنة بالجراح لا تستحي من ثلب القريب ؟ فضرب له الشيخ مثلاً في الثلب . إنسان فقير وله امرأة . هذا

صادف امرأة جميلة ، فاتخذها لنفسه . وكانت الاثنتان عاريتين . وحدث أن أقيم في مكان مجاور احتفال ، فرجته المرأتان قائلتين : « خذنا معك» . فأخذهما وجعلهما في خابية . ثم ركب السفينة فبلغ مكان الاحتفال . فجاء الحرّ وهدأ الناس . فنظرت الأولى فلم تجد أحداً ، فقفزت للحال الى مزبلة وأخذت تجمع خرقاً عتيقة لتجعل منها منطقة . ثم ، بعد ذلك ، طفقت تمشي بشجاعة . أمّا الأخرى التي كانت ما تزال داخل الخابية عارية ، فكانت تقول : « انظروا ان هذه الزانية لا تستحي أن تمشي وهي عارية» . فحزن رجلها وقال : يا للعجب ، إن تلك يكفي أنها تغطي عيبها وتستره ، أمّا أنت فعارية تماماً ولا تستحين أن تتكلمي . هكذا تماماً هي خطيئة الثلب .

١٦ ـ تحدث الأب يوحنا للأخ عن النفس التي تريد أن تتوب ، قال : كان هناك في إحدى المدن زانية جميلة لها أصحاب عديدون . فجاءها أحد الأسياد يوماً وقال لها : إقطعي لي عهداً أنك ستصبحين عاقلة ، فتكوني لي زوجة . فوعدته . فحملها إلى بيته . أمّا رفاقها الذين هبّوا للبحث عنها فكانوا يقولون : السيد الفلاني أخذها الى بيته ، فإذا مضينا إليه وعلم بقدومنا ، سينالنا منه عقابٌ صارم . فلنذهب من وراء البيت ونصفّر لها . وهي ما ان تسمع صوتنا حتى تنزل للقائنا ، فنكون نحن بدون مسؤولية . فلما سمعت هذه صوتهم ، أغلقت أذنيها وهرعت الى البيت الداخلي وأغلقت خلفها الباب . قال الأب : الزانية هي النفس ، ورفاقها هم الأهواء والناس . أمّا السيد فهو المسيح يسوع ربنا . والبيت الداخلي هو المنزل الأبدي . فالذين كانوا ينادونها هم الشياطين الأشرار ، وهذه كانت على الدوام تركض نحو الرب .

١٧ ـ مرة بينما كان الأب يوحنا صاعداً من الإسقيط مع بعض الاخوة ، ضلّ مرشدهم الطريق لأن الوقت كان ليلاً . فقال الاخوة للأب يوحنا : ماذا نعمل يا أبانا وقد ضل الأخ الطريق ، ونخشى أن نموت في هذا التيه ؟ قال لهم : إذا قلنا له ، سيحزن ويخجل . إلاّ أني سأتظاهر بأني مريض وأقول له انني لا

أقوى على متابعة السير ، لهذا سأبقى هنا حتى الصباح . ففعل كذلك . فقال الاخوة : ونحن أيضاً لن نذهب لأننا سنمكث معك . فأقام الجميع حتى الصباح ، وهكذا لم يعثروا الأخ .

١٨ ـ كان أحد الآباء ، في الاسقيط ، محباً للآلام في الجسديات ، إلاّ أنه لم يكن دقيقاً في الأفكار ، فمضى إلى الأب يوحنا يسأله عن النسيان . فلما سمع منه الكلمة ، عاد إلى قلايته ونسي كل ما قاله الأب يوحنا له . فعاد من جديد ليسأله . وبعدما سمع الكلمة قفل عائداً . لكنه ما ان بلغ القلاية حتى نسي كل شيء . فمضى اليه المرة تلو الأخرى وأثناء عودته كان النسيان يتسلط عليه . فلما قابل الشيخ ، قال له : هل تعلم يا أبت أنني نسيت أيضاً كل ما قلته لي ؟ إلاّ أني لم أعد إليك ، لئلا أزعجك . فقال له الأب يوحنا : إذهب واشعل المصباح ، فأشعله . فقال له ثانية : إحضر مصابيح أخرى وأشعلها من المصباح الأول ، ففعل . فقال له الأب يوحنا : ترى هل تضرر المصباح الذي منه أشعلت سائر المصابيح؟ قال : كلا . فقال الشيخ : هكذا هي الحال مع يوحنا أيضاً . فلو جاءني كل سكان الاسقيط ، لا يمكنهم أن يعيقوني عن نعمة المسيح . إذن يمكنك أن تأتي إليّ متى تشاء دون أن تتردد البتة . وهكذا بصبر الاثنين معاً ، رفع الله النسيان عن الشيخ . هذه كانت أعمال أهل الاسقيط وهي أن يقدّموا خدمة وعوناً للذين يحارَبون ، ويضغطون على أنفسهم لكي يربحوا بعضهم بعضاً للخير .

١٩ ـ سأل أخ الأب يوحنا قائلاً : ماذا أعمل عندما يأتيني أحد مراراً من أجل عمل ما بينما أكون متعباً ومريضاً ، والعمل شاق ؟ ماذا أعمل بالوصية إذاً ؟ أجابه الشيخ قائلاً : قال يشوع بن نون : « كنت ابن أربعين سنة حين ارسلني وارسلك موسى عبد الرب من الصحراء إلى هذه الأرض . واليوم أنا ابن خمس وثمانين سنة . ولم أزل قوياً في الدخول والخروج من الحرب ، كما كنت آنذاك» (يشوع ١٤: ٧ و١٤ : ١٠ ـ ١١) . حتى أنك أنت أيضاً ، إذا كنت

تستطيع أن تخرج كما تدخل ، إذهب . ولكن إذا كنت لا تقدر أن تعمل هذا ، لازم قلايتك وابكِ خطاياك . وإذا ما وجدوك مكتئباً ، لن يرغموك على الخروج .

٢٠ ـ قال الأب يوحنا : من باع يوسف ؟ أجابه أحد الاخوة قائلاً : اخوته . قال له الشيخ : كلا . لقد باعه تواضعه . لأنه كان يقدر أن يقول « إني أخوهم» وإن يعترض . إنما صمت ، فباع نفسه بالتواضع ، فجعله تواضعه قائداً في مصر .

٢١ ـ قال الأب يوحنا : لقد تركنا النير الخفيف وأعني لوم النفس ، وحملنا الثقيل الذي هو تبرير الذات .

٢٢ ـ هو نفسه قال : التواضع ومخافة الله اسمى من كل الفضائل .

٢٣ ـ هو نفسه حدّث أنه كان يجلس في الكنيسة مرة ، فتنهد غير عالم أن هناك إنساناً يجلس وراءه . فلما عرف به ، سجد أمامه قائلاً : سامحني يا أبت ، لأنني لم أتعلم بعد المبادىء المسيحية .

٢٤ ـ هو نفسه كان يقول لتلميذه : لنحترم الواحد فيحترمنا الجميع ، لأننا إذا احتقرنا الواحد ، وأعني الله ، فإن الجميع يحتقروننا ، فنذهب الى الهلاك .

٢٥ ـ قالوا عن الأب يوحنا إنه جاء إلى الكنيسة في الاسقيط ، فلما سمع مشاجرة بعض الاخوة ، قفل عائداً إلى قلايته ، وبعد أن طاف حولها ثلاث مرات ، دخل . فرآه بعض الاخوة ، فتساءلوا عن السبب الذي دفعه الى الدوران . ثم لما خرج سألوه عن السبب . فقال لهم : كانت أذناي مملؤتين شجاراً ، وهكذا طفت حول القلاية قبل أن أدخل وذلك لكي أنظفهما ، فأدخلها وفكري هادىء .

٢٦ ـ جاءه في إحدى الأمسيات أخ وفي نيته العودة بسرعة . فلما كانا يتكلمان على

الفضائل ، طلعت الشمس ولم يعرفا . فخرج الأب يوحنا يرافق الضيف لوداعه ، لكنهما ما لبثا يتحدثان حتى الساعة السادسة (أي الثانية عشر ظهراً) . فما كان من الأب يوحنا إلاّ أن أدخله وتناول وإياه طعام الغذاء ثم تركه يذهب .

٢٧ ـ قال الأب يوحنا : السجن هو أن تقيم في قلايتك وتذكر الله على الدوام . وهذا هو معنى الآية « كنت محبوساً فأتيتم إليّ » (متى ٢٥ : ٣٦) .

٢٨ ـ وقال أيضاً : من كان قوياً كالأسد ، هل يُعقَل أن يقع في الشرك وتضعف قوته ، من أجل بطنه ؟

٢٩ ـ وقال أيضاً : بينما كان آباء الاسقيط يأكلون خبزاً وملحاً ، كانوا يقولون : « لا نرغمنّ أنفسنا على الخبز والملح» . وهكذا لبثوا أقوياء من أجل عمل الله .

٣٠ ـ جاء أحد الاخوة ليأخذ السلال من الأب يوحنا . فلما خرج ، قال له : ماذا تريد يا أخي ؟ أجابه الأخ : السلال يا أبت . فدخل الأب لاحضارها له ، فنسي وجلس للحياكة . فقرع الأخ الباب ، فخرج الأب يوحنا . قال الأخ : أريد السلال يا أبت . فدخل الأب من جديد ليحضرها له ، إلاّ أنه نسي أيضاً وجلس للحياكة . فعاد الأخ وقرع الباب ، فخرج الأب يوحنا وقال له : ماذا تريد يا أخي ؟ قال : السلال يا أبت . للحال أمسكه بيده وأدخله الى القلاية وقال له : إذا كنت تريد سلالاً ، خذها وامش ، لأنه لا فراغ عندي .

٣١ ـ جاءه مرة جمّال يطلب سلاله ليحملها الى مكان آخر . فلما دخل الأب ليحضرها له ، نسي ما دخل من أجله إذ أن عقله كان مشغولاً بالله . فقرع الجمّال الباب من جديد ، فخرج الأب يوحنا ثم عاد ودخل ليحضرها له . إلاّ أنه نسي أيضاً ما قد دخل من أجله . فعاد الجمّال وقرع الباب ، فخرج الأب يوحنا ثم عاد وهو يقول : سلال الجمل ، سلال الجمل ، سلال الجمل .

٣٢ ـ هو نفسه أصبح حاراً بالروح ، فلما زاره أحد الاخوة ، امتدح عمله ، إذ كان يعمل في الحياكة . لكنه صمت . فبدأ الأخ يكلمه من جديد ، إلاّ أن الأب لبث صامتاً لا يفتح فاه . وأخيراً ، قال للزائر : منذ أن حللت هنا ، أخذت الله مني .

٣٣ ـ جاء شيخ إلى قلاية الأب يوحنا فوجده نائماً وملاك يقف إلى جانبه يروّح له . فلما رأى ذلك رحل . وعندما استيقظ الأب ، قال لتلميذه : هل جاءني أحد لمّا كنت نائماً ؟ قال له : نعم يا أبتِ . الشيخ الفلاني . ففهم الأب يوحنا أن من زاره كان في مقامه الروحي ، ولذلك رأى الملاك .

٣٤ ـ قال الأب يوحنا : أريد الانسان أن يأخذ قليلاً من جميع الفضائل . وبالتالي ، فإنك عندما تستيقظ كل صباح ، ابدأ من جديد في كل فضيلة ووصية وذلك بصبر عظيم وخوف وطول أناة ومحبة لله من كل الجسد والنفس ، وبتواضع كبير وصبر على ضيقات القلب والسجن أيضاً ، بصلاة كثيرة وشفاعات وتنهد وعفة في اللسان وحفظ للعين ، محتملاً الاهانة وغير غضوب ، مسالماً وغير مقابل الشر بالشر ، غير مراقب لهفوات الآخرين ونقائصهم ، وغير معتبر نفسك ذا شأن كونك دون الخليقة كلها ، في رفض للماديات والجسديات ، في صليب وجهاد ، في مسكنة الروح ونسك ونوح وصوم وتوبة ، في جهاد في الحروب ، في تمييز ، في عفة نفس ، في هدوء في العمل وشوق إلى عيش المحبة ، في سهر الليل ، في جوع وعطش وبرد وعري ، في أتعاب ، قافلاً قبرك كأنك مت منذ الآن ، وكأنك تعتقد أن موتك بات وشيكاً في كل ساعة .

٣٥ ـ قالوا عنه أيضاً إنه ، لما كان يأتي من الحصاد أو من زيارة لأحد الآباء ، كان يشغل نفسه بالصلاة والدرس والترتيل ، حتى يعود ذهنه الى حالته الأولى .

٣٦ ـ قال أحد الآباء فيه : من هو يوحنا الذي بتواضعه علّق الاسقيط كله بأصبعه الصغير ؟

٣٧ ـ سأل أحد الآباء الأب يوحنا قائلاً : من هو الراهب ؟ قال : الكادح ، لأن الراهب يتعب في كل أمر . هكذا يكون الراهب .

٣٨ ـ قال الأب يوحنا إن شيخاً روحياً قد أغلق على نفسه ، لكنه كان معروفاً جداً في المدينة وكان له من المجد القدر الكثير . فأخبروه أن أحد القديسين يوشك أن يغادر هذا العالم ، فتعال وعانقه قبل رقاده . ففكر في نفسه بأنه إذا خرج في النهار سيسرع الناس اليه فيصير له مجد عظيم ، وهكذا لا تجد نفسه راحة . فقرر الخروج تحت جناح الظلام ليتوارى عن أعين الناس . فلمّا خرج عند المساء راغباً في التواري عن أعين الناس ، للحال أرسل الله اليه ملاكين يحملان شموعاً لتضيئه . وهكذا خرجت اليه كل المدينة لترى المجد وبمقدار ما كان يريد الهرب من الأضواء والمجد ، تمجّد . بهذا تمّ المكتوب :« من يضع نفسه يرتفع » (لوقا ١٤ : ١١) .

٣٩ ـ قال الأب يوحنا الكولوفي : لا يمكنك أن تبني بيتك من أعلى إلى أسفل ، إنما من الأساس إلى فوق . قالوا له : وما هو هذا الكلام يا أبانا ؟ أجابهم : الأساس هو القريب الذي ينبغي أن تربح ، وينبغي أن يكون اهتمامك الأول ، لأن به تتعلق كل وصايا المسيح .

٤٠ ـ قالوا عن الأب يوحنا إن والدَي فتاة شابة ماتا وتركاها يتيمة وكان اسمها بايسيا . ففكّرت أن تحوّل بيت أهلها إلى نزل ، حباً بآباء الاسقيط . وقد بقيت على هذه الحال مدة من الزمن وهي تستقبل الآباء وتخدمهم . وبعد زمن يسير ، انفقت كل مالها وافتقرت . فالتصق بها أناس منحرفون وأبعدوها عن الهدف الصالح . ومنذ ذلك الحين أخذت تعيش في الفسق حتى بلغ بها الى الزنى . فسمع الآباء بحالها وحزنوا جداً ودعوا الأب يوحنا الكولوفي وقالوا له : لقد سمعنا عن هذه الأخت أنها تعيش حياة فاسقة ، وأنت تعلم أنّ هذه الفتاة ، لما كان بمقدورها ، أظهرت لنا محبتها . هلمّ نحن أيضاً نظهر لها المحبة ونقدم لها العون . أبذل جهداً للذهاب اليها ، وبالحكمة التي أوتيتها

من الله ، رتّب أمورها . فجاء الأب يوحنا وقال للبوابة العجوز : دلّيني على سيدتك . فأرسلته اليها قائلة : أنتم منذ البدء أكلتم ثروتها ، لهذا السبب هي الآن فقيرة . قال لها الأب يوحنا : نادي سيدتك لأني سأقدّم لها فائدة كبيرة . أمّا الخدام فكانوا يقولون له وهم يبتسمون : وماذا تقدر أن تقدّم لها ؟ هل تريد سوى أن تكون معها ؟ فأجابهم : كيف تعرفون عطيتي ؟ للحال صعدت العجوز وأخبرتها عنه . فقالت لها الشابة : إن هؤلاء الرهبان يتجولون على الدوام قرب البحر الأحمر بحثاً عن اللآلىء . ولما تزيّنت ، قالت للعجوز : قولي له أن يدخل . فلما دخل ، كانت هي جالسة في سريرها . فتقدم الأب يوحنا وجلس بقربها . ولما حدّق في وجهها قال : لماذا احتقرت يسوع المسيح حتى بلغت بك الحال الى ما أنت عليه ؟ فلما سمعت هذا الكلام ، جمدت في مكانها . أمّا الأب يوحنا ، فأطرق رأسه وطفق يبكي بشدة . فقالت له : ولماذا تبكي يا أبت ؟ فنهض وكان مطرقاً الرأس وهو يبكي ، وقال لها : أرى الشيطان يلهو ويمرح على وجهك ، فكيف لا أبكي ؟ فلما سمعت هذا الكلام ، قالت له : وهل من توبة يا أبت ؟ قال لها : نعم . فقالت : خذني إلى حيث تشاء . قال لها : هلمّ ننطلق . ونهضت تتبعه . فلاحظ الأب أنها لم تطلب شيئاً البتة ، ولم تحدّثه عن بيتها ، فتعجب . ولما وصلا الى البرية ، كان ظلام ، فأمسك حفنة من الرمال وجعلها بمثابة وسادة ورسم عليها إشارة الصليب وقال : نامي هنا . ثم أعدّ لنفسه مكاناً على مسافة قصيرة ، وأتم صلاته ونام.. وفي منتصف الليل نهض فأبصر طريقاً نورانية ممتدة من السماء الى الموضع الذي كانت الشابة نائمة عليه . ورأى ملائكة الله تحمل روحها ، فنهض وتوجه الى المكان الذي تنام فيه وأمسكها من رجلها . ولما رأى أنها قد ماتت ، انطرح إلى الأرض حتى خرّ على وجهه وأخذ يصلّي إلى الله . فسمع أن الساعة التي امضتها في التوبة صارت مقبولة أكثر من توبة طويلة عند كثيرين لا يظهرون حرارة كتلك التي أظهرتها هذه الشابة .

الأب يوحنا الذي يعيش في دير ذي شركة

١ ـ كان هناك أخ يعيش في دير فيه حياة شركة ، عاكفاً على النسك الشديد . فلمّا سمع به اخوة الاسقيط ، جاؤوا لرؤيته ، ودخلوا المكان الذي كان يعمل فيه . وعندما رأى الاخوة ما صنع ، قالوا له : يا يوحنا ، من أعطاك الاسكيم ؟ ومن جعلك راهباً ولم يعلّمك أن تأخذ من الاخوة وتقول لهم « باركوا أو استريحوا» ؟ أجابهم : إن يوحنا الخاطىء لا ينشغل بمثل هذه الأمور .

الأب ايسيذورس كاهن الاسقيط

١ ـ قالوا عن الأب ايسيذورس كاهن الاسقيط إنه لو كان لأحد أخ مريض أو لا مبال أو شتّام ، وأراد أن يطرده ، كان يقول : أحضره إليّ إلى ههنا . فكان يأخذه ، وبطول أناة ، كان يخلّصه .

٢ ـ سأله أخ قائلاً : لماذا تخشاك الشياطين جداً ؟ قال الأب : لأنني منذ أصبحت راهباً ، وأنا أحاول إلاّ أسمح للغضب أن يرتفع الى حلقي .

٣ ـ قال أيضاً إن له أربعين سنة وهو يشعر بالخطيئة في الفكر ، لكنه لم يذعن للشهوة أو الغضب أبداً .

٤ ـ قال أيضاً : لما كنت أصغر سناً وأكثر حداثة ، وكنت أقيم في قلايتي ، لم يكن عندي مقياس للصلاة ، لأن الصلاة كانت بالنسبة إليّ في الليل والنهار .

٥ ـ قال الأب بيمن عن الأب ايسيذورس إنه كان يمضي ليله وهو يحيك الخوص فرجاه الاخوة قائلين : استرح قليلاً ، لأنك شخت . وكان يجيبهم : إذا احرقوا ايسيذورس ونثروا رماده في الهواء ، فليس له أية نعمة أكبر ، لأن ابن الله قد جاء إلى هنا من أجلنا .

٦ ـ هو نفسه قال عن الأب ايسيذورس إن أفكاره قالت له إنه رجل عظيم ، فقال لها : ترى هل بلغت إلى رتبة العظيم أنطونيوس؟ أو هل أصبحت مثل بمفو؟ أو هل أنا كسائر القديسين الذين أرضوا الله ؟ ولما كان يقول هذا ، كان يرتاح . ولكن لما كان العدو يقنعه بأنه بعد كل هذا سيطرح الى الجحيم ، كان يقول : حتى ولو طرحت إلى الجحيم ، فإني سأجدكم تحتي أيها الشياطين .

٧ ـ قال الأب ايسيذورس : ذهبت مرة إلى السوق لأبيع بعض السلال . فلما رأيت الغضب يقترب مني ، تركت السلال وهربت .

٨ ـ مضى الأب ايسيذورس إلى الأب ثيوفيلوس رئيس أساقفة الاسكندرية . ولما عاد الى الاسقيط سأله الاخوة : كيف حال المدينة ؟ قال لهم : الحقيقة ، يا اخوتي ، اني لم أرَ وجه إنسان سوى رئيس الأساقفة . فلما سمعوا هذا الكلام ، اضطربوا وقالوا : وهل اختفى سكانها يا أبانا ؟ قال : طبعاً لا ، إلاّ أن فكري لم يغلبني حتى أرى أياً منهم . فلما سمعوا هذا ، تعجبوا وتشددو وذلك لكي يحفظوا أبصارهم من الاضطراب .

٩ ـ هو نفسه قال : إن فكر القديسين هو في أن يعرفوا إرادة الله . فالانسان يمكنه أن يغلب كل شيء إذا ما أطاع الحقيقة ، كونه مخلوقاً على صورة الله ومثاله . إن الأردأ بين كل الأرواح أن يتبع الانسان قلبه (أي أفكاره) ، لا شريعة الله ، لأن هذا سيجعله في غم ونوح ، كونه لم يعرف السر ، ولم يجد طريق القديسين لكي يعمل فيها . والآن وقت العمل للرب ، لأن الخلاص يُقْتَنى في وقت الضيقات ، وقد كتب « بصبركم تقتنون نفوسكم» (لوقا ٢١ : ١٩) .

الأب ايسيذورس البيلوسيوتي

١ ـ قال الأب ايسيذورس البيلوسيوتي : حياة بدون كلام خير من كلام بدون حياة . فالأولى بالصمت تنفع ، أمّا الثانية فبالصياح تزعج . لكن ، إذا اقترنت الحياة بالكلمة ، يولد مثال كل الفلسفة .

٢ ـ هو نفسه قال : أكرِم الفضائل ولا تهتم بالملذات ، لأن الفضائل خالدة ، أمّا الملذات فتزول بسهولة .

٣ ـ وقال أيضاً : كثيرون من الناس يريدون الفضيلة ، إلاّ أنهم يترددون في السير على الطريق التي تقود اليها . كذلك البعض الآخر لا يعتقدون أن ثمة فضيلة . فينبغي أن نقنع الأولين بالتخلي عن كسلهم وتهاونهم ، وأن نعلّم اللاحقين أن الفضيلة هي بالحقيقة فضيلة .

٤ ـ وقال أيضاً : الشر أبعد الانسان عن الله ، وفرّق بين الانسان وأخيه . لذلك ينبغي أن نتحاشاه ونسرع في طلب الفضيلة التي تقودنا الى الله وتجمعنا بالناس . إن تحديد الفضيلة والفلسفة هو البساطة المقرونة بفهم وتعقل .

٥ ـ وقال أيضاً : بما أن علو التواضع عظيم ، كذلك هو السقوط في الكبرياء . لذا ، أنصحكم أن تقبلوا ذاك ، ولا تسقطوا في هذا .

٦ ـ وقال أيضاً : إن حب المال المخيف ، الذي لا يعرف الشبع ، يقود النفس المستعبدة له إلى أسوأ الشرور . لذلك فلنبتعد عنه من البدء لأنه ، إذا ساد ، يصبح سيداً لا يقهر .

الأب اسحق كاهن القلالي

١ ـ في أحد الأيام جاؤوا ليشرطنوا الأب اسحق كاهناً، فلما سمع بهذا الأمر، هرب الى مصر واختبأ في أحد الحقول بين المزروعات، وكان الآباء في أثره. فلما وصلوا إلى المكان الذي كان فيه، توقفوا ليأخذوا لأنفسهم قسطاً من الراحة لأن المساء كان قد حل. وكان معهم حمار، فتركوه يرعى. لكن الحمار ابتعد ووقف إزاء الشيخ وفي الصباح طلبوا الحمار فوجدوه بجوار الأب اسحق، فتعجبوا. ولما أرادوا أن يربطوه، منعهم قائلاً: لن أهرب بعد الآن، لأن هذه هي إرادة الله. إذ حيثما ذهبت، أصل إلى ذلك بعينه.

٢ ـ قال الأب اسحق: لما كنت أصغر سناً، كنت أقيم مع الأب كرونيو الذي لم يكن يطلب مني أية خدمة، مع أنه كان طاعناً في السن وعنده رجفة في جسمه. بل كان ينهض بمفرده ويقدم لي ولسواي لنشرب. كذلك أقمت مع الأب ثيوذورس الفيرمي، وهذا أيضاً لم يطلب مني أية خدمة، بل كان يعدّ الطعام بنفسه ويمدّ المائدة بيده ويقول: يا أخي إذا كنت تريد أن تأكل تفضل. أمّا أنا فكنت أقول له: يا أبت، جئت إليك لكي انتفع، فكيف لا تطلب مني القيام بعمل؟ لكن الشيخ كان دائماً يلازم جانب الصمت. فذهبت وقلت هذا للشيوخ، فجاؤوا وقالوا له: يا أبانا، هذا الأخ جاء إليك لكي يستفيد، فكيف لا تطلب منه أية خدمة؟ قال لهم: ماذا تظنون؟ هل أنا رئيس دير حتى آمره؟ على كل حال أنا لا أقول له شيئاً، ولكن إذا أراد، فليفعل ما يراني أقوم به. ومنذ ذلك الحين بدأت أسرع في القيام بالأعمال التي كان هو ينوي القيام بها. بينما كان الشيخ كعادته يعمل بصمت. وهذا علمني أن أقوم بعملي صامتاً.

٣ ـ كان الأب اسحق والأب ابـراهيم يقيمان معـاً . وحـدث مرة أن دخـل الأب ابراهيم عليه فوجده يبكي ، فقال له : لماذا تبكي يا أبت ؟ قال الشيخ : ولماذا لا نبكي؟ الى أين سنذهب؟ آباؤ نا ماتوا وعمل أيدينا لم يكن يكفي لأجـرة المراكب عندما كنا نذهب لزيارتهم . أمّا الآن فنحن يتامى، من أجل هذا أبكي يا ولدي .

٤ ـ قال الأب اسحق : اعرف أخاً أراد بينما كان يحصد في البيدر ، أن يأكل حفنة من القمح . فقال لصاحب الحقل : هل تسمح لي بحفنة من القمح يا أخي ؟ فلما سمع صاحب الحقل هذا الكلام ، تعجب وقال له : الحقل كله لك يا أبت وتسألني ؟ بهذا المقدار كان هذا الأخ دقيقاً .

٥ ـ قال أيضاً للاخوة : لا تحضروا الأولاد الى هنا ، لأن أربع كنائس في الاسقيط أصبحت مقفرة بسببهم .

٦ ـ قالوا عن الأب اسحق إنه كان من يأكل مع الخبز رماد بخور التقدمة .

٧ ـ قال الأب اسحق : آباؤنا والأب بمفو كانوا يلبسون الثياب الخشنة القديمة ، أمّا الآن فإنكم تلبسون الثياب الثمينة الفاخـرة . ارحلـوا عنـي ، واخلـوا هذا المكان . ولما كان ينوي الذهاب الى الحصاد ، كان يقول لهم : لن أعطيكم بعد اليوم وصايا ، لأنكم لا تحفظونها .

٨ ـ حدّثنا أحد الآباء عن أخ جاء إلى كنيسة القلالي يعتمر قبعة صغـيرة ، فأتـى ووقف أمام الأب اسحق . فطرده الأب قائلاً : إن ما هنا هو للرهبان ، أمّا أنت فمن العالم ، ولا تقدر أن تقيم في هذا المكان .

٩ ـ قال الأب اسحق : لم أدخل إلى قلايتي فكراً ضد أخ أزعجني . وكان همي ألاّ أترك أحداً وفي قلبه عليّ شيء .

١٠ ـ مرض الأب اسحق مرضاً خطيراً وطال مكوثه فيه ، فأعـدّ له أخ قليلاً من

الحساء جاعلاً فيه فتاتاً من الخبز اليابس . فرفض الأب أن يأكل . فرجاه قائلاً : خذ منه قليلاً لأجل المرض يا أبت . أجابه الشيخ : في الحقيقة يا ولدي ، كنت أريد لو أبقى في مرضي ثلاثين سنة .

١١ ـ قالوا عن الأب اسحق إنه لما دنت ساعة رحيله من هذا العالم ، التف حوله الآباء وقالوا : ماذا نعمل بعدك يا أبانا ؟ قال لهم : أنظروا كيف كان سلوكي بينكم . فإذا أردتم أن تتبعوني ، احفظوا وصايا الله ، وهو يرسل نعمته ويحفظ هذا المكان . ولكن إذا لم تحفظوها ، لن تقيموا ههنا . ونحن كنا في الواقع نحزن لفراق آبائنا . إلاّ أننا كنا نحفظ وصايا الرب وتوجيهات الآباء ، فكنا نثبت وكأنهم بيننا . وأنتم أيضاً ، إذا فعلتم هكذا ، تخلصون .

١٢ ـ قال الأب اسحق : اعتاد الأب بمفو أن يقول : إنه من المفيد للراهب أن يلبس ثوباً من النوع الذي ، إذا ما رماه خارج القلاية ثلاثة أيام ، لا يلتقطه أحد .

الأب يوسف الذي في بنفو

١ ـ صعد بعض الآباء مرة إلى الأب يوسف في بنفو كي يسألوه عن طريقة استقبال الاخوة وإضافتهم وهل ينبغي أن يخالطوهم ويكلموهم بحرية وقبل أن يسألوه ، قال لتلميذه : إفهم ما أنا مزمع أن أعلّمه اليوم ، واحتمله . ثم وضع الأب وسادتين الواحدة عن يمينه والأخرى عن يساره ، وقال : إجلسوا . أمّا هو فدخل إلى القلاية وارتدى لباس المتسول ، ولما خرج ، اجتاز في وسطهم . ثم عاد ودخل من جديد إلى قلايته وارتدى لباسه الأول . فتعجب الجميع من عمله . فقال لهم : أفهمتم ماذا فعلت ؟ قالوا : نعم . قال : هل تبدل فيّ شيء لما ارتديت لباساً حقيراً ؟ قالوا : كلا . قال لهم : إذا كنت أنا نفسي في كلتا الحالتين لم أتغيّر في الأولى ، ولم أتأذَّ في الثانية ، إذن ينبغي أن نعمل الشيء نفسه لدى استقبال الاخوة الغرباء . لأن الكتاب يقول : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (متى ٢٢: ٢١) . لأجل ذلك عندما يحضر بعض الاخوة ، ليكن استقبالنا لهم بجرأة وفرح . ولكن عندما نعود إلى وحدتنا ، نحتاج إلى النوح ليبقى معنا . فلما سمعوا هذا الكلام تعجبوا ، لأنه قال لهم كل ما جال في فكرهم قبل أن يسألوه . فمجّدوا الله .

٢ ـ قال الأب بيمن للأب يوسف : قل لي : كيف يمكنني أن أصير راهباً ؟ قال له : إذا أردت أن تجد راحة هنا وهناك ، قل في كل شيء : « من أنا؟» ، ولا تدنْ أحداً .

٣ ـ هو نفسه سأل الأب يوسف قائلاً : ماذا أعمل عندما تدنو الأهواء مني ؟ هل

أقاومها ؛ أم أتركها تدخل ؟ قال له الشيخ : اتركها تدخل ثم حاربها . ثم عاد وأقام في الاسقيط . وحدث أن قدم واحد من أهل طيبة الى الاسقيط وقال للاخوة : لقد سألت الأب يوسف قائلاً : هل أقاوم الأهواء متى دنت مني ، أم أتركها تدخل ؟ فقال لي : لا تدعها تتسرب إليك البتة ، إنما أقطعها للحال . فلما سمع الأب بيمن أن الأب يوسف أجاب الأخ هكذا ، نهض للحال ومضى إلى بنفو وقال له : لقد وثقت بك يا أبت وسلمتك أفكاري . إلاّ أنك أجبتني بخلاف ما أجبت الأخ الذي من طيبة . قال له الشيخ : ألا تعلم أني أحبك ؟ قال : نعم . قال : ألم تقل لي : كلمني كما تكلم نفسك ؟ أجاب : نعم ، هكذا قلت لك . قال له الشيخ : في الواقع إذا دخلت إليك الأهواء وحاربتها ، فإنها تجعلك ذا خبرة أعمق . لقد كلمتك كنفسي . لكن هناك أناس لا يوافقهم دنو الأهواء منهم ، وعليهم أن يقطعوها فوراً .

٤ ـ سأل أخ الأب يوسف قائلاً : ماذا أعمل لأنني لا أقدر أن أحتمل المشقات أو أن أعمل وأن أمارس الإحسان ؟ أجابه الشيخ : إذا كنت لا تقدر أن تعمل واحدة من هذه ، يكفيك أن تحفظ ضميرك تجاه القريب نقياً ، فتخلص .

٥ ـ قال أحد الاخوة إني زرتُ الأب يوسف في هيراقلية الجنوبية . وكان في الدير تينة جميلة . فقال لي عند الصباح : إذهب وكل . وكان ذلك اليوم جمعة ، فلم أذهب بسبب الصيام ، فتضرعت إليه وقلت : حباً بالله ، قل لي ما هو هذا الفكر ؟ أنت كنت تريدني أن أذهب وآكل ، أمّا أنا فبسبب الصيام لم أذهب ، وكنت أخجل من وصيتك وقد فكرت في نفسي وقلت : بأي فكر كان الأب يطلب هذا ؟ ماذا كان ينبغي أن أعمل لما طلبت مني أن أذهب ؟ قال : بادىء ذي بدء لا يعلن الآباء للإخوة الأشياء صحيحة ، إنما يحرّفونها . لكن إذا لاحظوا أن الإخوة ينفذون كل ما يطلب منهم ،يكفّون عن التحريف ويبدأون بما هو حقيقي ، كونهم عرفوا أن الاخوة قد صاروا مطيعين في كل شيء .

٦ ـ قال الأب يوسف للأب لوط : لا تستطيع أن تصير راهباً ، إذا لم تصبح ناراً ملتهبة بالكلية .

٧ ـ زار الأب لوط الأب يوسف وقال له : يا أبت ، على قدر طاقتي أقوم بصلاتي وصومي ودرسي وتأملي . كذلك على قدر طاقتي أحتفظ بأفكاري نقية . فماذا بقي عليّ أن أعمل ؟ فنهض الأب يوسف وبسط يديه نحو السماء ، فصارت أصابعه كعشر شموع من نار ، وقال له : إذا كنت تريد ، فما عليك إلاّ أن تكون ناراً بالكلية .

٨ ـ قال أحد الاخوة للأب يوسف : أريد أن أخرج من الجماعة وأتوحّد ؟ قال له الشيخ : أقم حيث ترى أن نفسك ترتاح ولا تتأذى . أجابه الأخ : في الجماعة أجد راحتي ، وفي التوحد والإنقطاع أيضاً . فماذا تريدني أن أعمل ؟ قال له الشيخ : إذا كنت تجد راحتك في الإثنين معاً ، ضع فكريك على كفتي ميزان ، وحيثما تجد أن نفسك تزداد نفعاً وفكرك يزداد ثقلاً فهناك استقر .

٩ ـ زار أحد الآباء رفيقه كي يذهبا معاً لزيارة الأب يوسف . فقال : قل لتلميذك أن يعدّ لنا الحمار . أجابه : ناده ، ومهما أردت سيعمله . قال : وما اسمه ؟ أجاب الأب : لا أعرف . فقال له : كم له من الوقت معك حتى أنك لا تعرف اسمه ؟ قال : سنتان . قال الأب : إذا كنت لا تعرف اسم تلميذك بعد سنتين من إقامته معك ، فأنا في يوم واحد ماذا يعوزني حتى أتعلمه ؟

١٠ ـ اجتمع بعض الاخوة لدى الأب يوسف . ولما كانوا يسألونه كان هو يطير من الفرح ، وبلهفة قال لهم : اليوم أنا ملك ، لأنني ملكت على أهوائي .

١١ ـ قالوا عن الأب يوسف إنه ، لما شارف على الموت ، كان هناك آباء كثيرون عنده ، فنظر إلى النافذة ، فرأى الشيطان جالساً هناك ، فنادى تلميذه وقال له : إليّ بالعصا ، لأن هذا يظن أنني قد هرمت ولم أعد قادراً عليه . ولما أمسك عصاه ، لاحظ الآباء أن الشيطان نزل من الشباك ككلب واختفى .

الأب يعقوب

١ ـ قال الأب يعقوب : خير للإنسان أن يتغرب من أن يستضيف .

٢ ـ وقال أيضاً : عندما يُمتدح إنسان ، ينبغي أن يتأمل في خطاياه ويفكر في أنه لا يستحق ما يُقال فيه .

٣ ـ وقال أيضاً : كما أن المصباح يضيء غرفة النوم المظلمة ، هكذا خوف الله عندما يدخل القلب ، ينيره ويعلّمه كل الفضائل ووصايا الله .

٤ ـ ليست حاجتنا إلى الكلام فقط ، لأن الكلام في هذا الزمان كثير ، إنما حاجتنا إلى العمل . فهذا هو المطلوب ، لا الكلام الذي لا يأتي بثمر.

الأب إيراكا

١ ـ سأل أخ الأب إيراكا قائلاً : قل لي كلمة ، كيف أخلص ؟ قال له الشيخ : إجلس في قلايتك . وإذا عطشت إشرب . وإذا جعت كل . لا تتكلم على أحد بسوء . هكذا تخلص .

٢ ـ هو نفسه قال : لم أشأ أبداً أن أنطق بكلمة دنيوية ، ولا أردت أن أستمع لها .

الأب يوحنا الخصي

١ ـ لما كان الأب يوحنا الخصي شاباً ، سأل أحد الشيوخ قائلاً : كيف استطعتم أن تعملوا إرادة الله براحة ، بينما نحن بالجهد نفعل ذلك ؟ قال الشيخ : لقد تمكنا من ذلك ، إذ أن اهتمامنا الأساسي هو عمل الله . أمّا للحاجة الجسدية فنعير انتباهاً قليلاً . بينما أنتم تعطون الحاجة الجسدية الاهتمام الأول ، وعمل الله ليس الأهم عندكم . لأجل هذا تتعبون ، ولهذا قال الرب لتلاميذه : «يا قليلي الإيمان ، أطلبوا أولاً ملكوت الله وبره ، وهذه كلها تزاد لكم » (متى ٦ : ٣٣) .

٢ ـ هو نفسه قال : إن أبانا أنطونيوس قال : لم أؤثر مرةً مصلحتي على مصلحة أخي .

الأب يوحنا الكيليكس

١ ـ قال الأب يوحنا الكيليكس رئيس دير رايثو إلى الاخوة : يا أولادي ، كما أننا هجرنا العالم فلنهجر رغبات الجسد أيضاً .

٢ ـ وقال أيضاً : لنتشبه بآبائنا . كم من الشدة والسكينة أقاموا هنا .

٣ ـ وقال أيضاً : لا نلوّث هذا المكان يا أبنائي ، لأن آباءنا قد طهّروه من الشياطين .

٤ ـ إن هذا المكان ملك للنسّاك لا لذوي الحِرَف .

الأب يوحنا رجل القلالي

١ ـ حدّثنا الأب يوحنا رجل القلالي قائلاً : كان في مصر زانية جميلة جداً وغنية . وكان الأسياد والأمراء يتوافدون إليها . مرّت ، في أحد الأيام ، أمام الكنيسة وأرادت أن تدخل ، لكن الشماس المساعد ، الذي كان يقف عند الباب ، لم يسمح لها بالدخول قائلاً : أنت لا تستحقين الدخول إلى بيت الله لأنك غير طاهرة . ولما كانا يتماحكان ، سمع الأسقف الضجة ، فخرج . قالت له الزانية : إنه لا يسمح لي بالدخول إلى الكنيسة . قال لها الأسقف : لا يسمح لك بالدخول لأنك غير طاهرة . فتحركت هذه في داخلها وقالت له : لن أزني بعد اليوم . قال لها الأسقف : إذا أحضرت كل أموالك إلى هنا ، أعرف انك لن تمارسي الزنى أبداً . فذهبت وجاءت بكل مالها وأحرقته . ثم دخلت إلى الكنيسة تبكي وتقول : إذا أصابني هنا مثل هذا ، الويل لي ، ماذا سيحدث لي هناك ؟ فتابت وأضحت إناءً مختاراً .

٢ ـ قال الأب يوحنا الطيبي : يجب على الراهب ، قبل كل شيء ، أن يكون متواضعاً ، لأن هذه هي وصية السيد الأولى : « هنيئاً للمساكين بالروح ، لأن لهم ملكوت السموات » (متى ٥ : ٣) .

الأب إيسيذورس الكاهن

١ ـ قالوا عن الأب إيسيذورس الكاهن إن أخاً جاءه يدعوه إلى الطعام . أمّا هو فأبى أن يذهب قائلاً : آدم خُدع بالأكلة ، فمكث خارج الفردوس . قال له الأخ : وأنت أيضاً ، تخاف الخروج من قلايتك يا أبت ؟ أجابه الأب : نعم يا بني ، أخاف لأن « الشيطان يزأر كالأسد طالباً من يبتلعه » (١ بطرس ٥ : ٨) . ومراراً كثيرة كان يقول : إذا سلّم أحد نفسه إلى تعاطي الخمرة لن يهرب من مكيدة الأفكار ، لأن لوط ، لما أجبرته بناته ، سكر بالخمرة ولما سكر قاده الشيطان بيسر وسهولة إلى الزنى غير المشروع .

٢ ـ قال الأب إيسيذورس : إذا اشتهيت أن تنال ملكوت السموات ، فاحتقر الأموال واسع نحو المكافأة الإلهية .

٣ ـ وقال أيضاً : يستحيل عليك أن تعيش وفقاً لإرادة الله إذا كنت محباً للمال واللذة .

٤ ـ وقال أيضاً : إذا حفظتم الصوم وفق الأصول لا تتكبروا ، لأنه خير لكم أن تأكلوا لحماً من أن تقعوا في الكبرياء . فخير للإنسان أن يأكل لحماً من أن يتباهى ويفتخر .

٥ ـ وقال أيضاً : يجب على التلاميذ أن يحبوا المعلمين الحقيقيين كآباء ، وأن يخافوهم كرؤساء . فلا يسقطون الخوف بداعي المحبة ، ولا يزيلون المحبة بداعي الخوف .

٦ ـ وقال أيضاً : إذا كنت تشتاق إلى الخلاص ، اعمل كل ما من شأنه أن يقودك إليه .

٧ ـ قالوا عنه إنه كان يهرب إلى قلايته الداخلية ، كلما جاءه أحد الاخوة . فقال له البعض : يا أبانا ، ما الذي تفعله ؟ أجابهم : إن الحيوانات التي تسرع إلى أوكارها عندما تُطارد ، تنجو . هذا قاله لمنفعة الاخوة .

الأب يوحنا الفارسي

١ ـ جاء إليه صبي ليشفى من الشيطان ، وفي الوقت نفسه كان هناك بعض الاخوة الذين جاؤوا لزيارته من أحد أديار مصر . فلما خرج الشيخ ، رأى أحد الاخوة يقترف الخطيئة مع الصبي ، فلم يوبِّخه قائلاً : إذا كان الله الذي أبدعهما ، يراهما ، فمن أنا حتى أوبِّخهما ؟

٢ ـ قال أحد الآباء عن الأب يوحنا الفارسي إنه بسبب النعمة الكثيرة بلغ درجة عميقة من الطهارة . وكان يقيم في منطقة العرب في مصر . فاقترض من أحد الاخوة مالاً واشترى به كتاناً كي يعمل . فجاءه أحد الاخوة راجياً إياه وقائلاً : أعطني يا أبت شيئاً من الكتان لأصنع ازاراً . فأعطاه ، كما أعطى بفرح آخرين طلبوا منه . وأخيراً جاء الذي أقرضه المال ليسترده . فقال له الأب : سأذهب لأحضره لك . ولم يكن يعلم من أين سيأتي بالمال ليفي الدين المفروض عليه . فقام ومضى إلى الأب يعقوب المسؤول عن الخدمة كي يقرضه بعض المال ليعيد للأخ ما له . وفي الطريق صادف قرصاً من ذهب على الأرض ، فلم يلمسه . فصلّى وعاد إلى قلايته . فعاد الأخ من جديد يزعجه من أجل المال . فقال له الأب : سأهتم بإحضاره مهما يكن الأمر . فلما مضى إلى الأب يعقوب ، وجد في الطريق القرص الذهبي ملقى على الأرض ، فصلّى وعاد إلى قلايته دون أن يأخذه . فعاد الأخ للمرة الثالثة يزعجه ، فقال له : هذه المرة سأحضره لك . وهكذا مضى إلى الأب يعقوب من جديد وقال له : يا أبت ، لما كنت آتياً إليك ، وجدت في الطريق هذه القطعة النقدية . أَحسِنْ إليّ وأعلن هذا الأمر للرعية ، إذ ربما أضاعها أحدهم . وفي حال ظهور

صاحبها، أردّها إليه . فمضى الأب يعقوب وأعلن ذلك مدة ثلاثة أيام، فلم يظهر صاحب القطعة . عندئذ قال الأب يوحنا للأب يعقوب : إذا لم يفقدها أحد أعطها للأخ الفلاني لأني مدين له . فأنا ، لما كنت آتياً إليك لآخذ منك إحساناً ، وجدت هذا القرص في الطريق . فتعجب الأب يعقوب ، كيف أن الأب يوحنا لم يلتقط المال ما دام مديناً . وكان هذا المذهل في طبعه وهو أنه إذا قدم إليه أحد يطلب شيئاً ، لم يكن يعطيه إياه وحسب ، بل كان يقول : اذهب وخذ بنفسك ما تحتاج إليه . ولما كان يعيده كان يقول له : أعده الى مكانه . وعندما لم يكن يعيد إليه أحد ما أخذ ، لم يكن يقول له شيئاً .

٣ ـ قالوا عن الأب يوحنا الفارسي إنه ، لما دخل الأشرار إلى المنطقة التي كان هو فيها ، كان يقدّم لهم طستاً ويغسل لهم أرجلهم . أمّا هم ، فلشدة تقديرهم واحترامهم له ، كانوا يتوبون .

٤ ـ قال أخ للأب يوحنا الفارسي : لقد تعبنا تعباً هذا مقداره من أجل ملكوت السموات ، ترى هل نرثه ؟ أجابه الأب : أنا أؤمن أنني سأرث أورشليم العلوية التي في السموات ، لأن من وعدنا به أمين ، فلماذا الشك إذن ؟ لقد كنت مضيفاً كإبراهيم ، وديعاً كموسى ، باراً كهرون ، صبوراً كأيوب ، متواضعاً كداود ، ناسكاً كيوحنا ، حزيناً كإرميا ، معلّماً كبولس ، أميناً كبطرس ، حكيماً كسليمان . وأؤمن ، كاللص ، بأن من وهبني هذه كلها لفرط خيريته ، سيهبني الملكوت أيضاً .

الأب يوحنا الطيبي

١ ـ قالوا عن الأب يوحنا الطيبي الصغير تلميذ الأب أموي إنه أقام اثنتي عشرة سنة في خدمة أبيه لما كان مريضاً . فكان يجلس معه على البساط . وكان الأب المريض لا يكترث له ، مع العلم أن الأب يوحنا كان يتعب أمامه كثيراً . وبالرغم من الخدمة هذه ، لم يقل له حتى ولا لمرة واحدة « أرجو أن تخلص » . إلاّ انه لما أوشك أن يغادر هذا العالم ، أمسك يده بينما كان الآباء مجتمعين ، وقال : أرجو أن تخلص ، أرجو أن تخلص ، أرجو أن تخلص . ثم سلّمه إلى الآباء قائلاً : هذا ملاك لا إنسان .

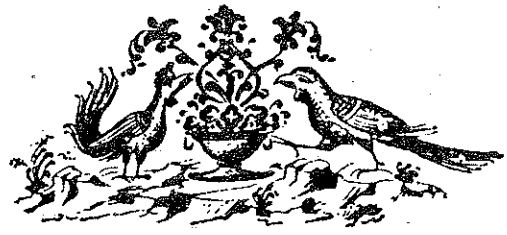

الأب يوحنا تلميذ الأب بولس

١ ـ قالوا عن الأب يوحنا تلميذ الأب بولس إنه كان مطيعاً جداً . كان هناك في أحد الأمكنة قبور تعيش فيها ضبعة . فرأى الشيخ في جوار قلايته بعضاً من روثها، فقال ليوحنا : اذهب واحضرها . قال التلميذ : وماذا نفعل بالضبعة يا أبي ؟ أجاب الشيخ مازحاً : إذا هاجمتك ، إربطها واحضرها إلى هاهنا . فمضى إليها في المساء ، للحال هاجمته ، فعمل بكلمة أبيه وهجم ليمسكها ، لكنها هربت ، فانطلق يعدو في أثرها ويقول : لقد طلب مني أبي أن أربطك . ولما أمسكها ربطها . فحزن الشيخ بولس وكان جالساً ينتظر عودته . أمّا يوحنا فعاد يجر الضبعة وراءه . فلما رأى الشيخ هذا تعجب جداً . وأراد أن يعلّمه التواضع ، فربت على كتفه وقال له : أيها المجنون ، لقد أحضرت إليّ كلباً مجنوناً . للحال ، حلّ الوحش من رباطه وأطلقه .

الأب يوسف الطيبي

١ ـ قال الأب يوسف الطيبي : ثلاثة أمور مكرمة في عيني الرب : الأول عندما يمرض الإنسان فتأتيه التجارب ويقبلها بشكر . والثاني ، عندما يتمّ الإنسان أعماله كلها أمام الرب بدون أي أمر بشريّ . والثالث عندما يعيش المرء في طاعة أبيه الروحي ، ويرفض كل مشيئة ذاتية . هذا له إكليل خاص ينتظره . أمّا أنا ، فقد اخترت المرض .

الأب اسحق الطيبي

١ ـ زار الأب اسحق الطيبي ديراً ، فرأى أخاً يخطـأ ، ووبّخه على خطيئته . ولما خرج إلى البرية ، جاء ملاك الرب ووقف أمام باب قلايته قائلاً : لن أدعك تدخل . فتوسل إليه قائلاً : ولأي سبب تمنعني من الدخول ؟ أجابه الملاك : لقد أرسلني الله إليك قائلاً : قل له : اين تأمرني أن أضع الأخ الذي وبّخته ؟ للحال ندم وقال : لقد خطئت سامحني . فقال له الملاك . انهض ، لقد سامحك الله . وانتبه لنفسك ألاّ تدين أحداً قبل أن يدينه الله .

٢ ـ قالوا عن الأب أبو للو إنه كان له تلميذ يدعى اسحق ، وكان مدرّباً في كل خير وصلاح . وقد اقتنى صمت التقدمة المقدسة . هذا لما كان يذهب إلى الكنيسة ، لم يكن يسمح لأحد أن يأتي لمقابلته . وكان سبب موقفه هذا ، ان كل شيء حسن في حينه « لأن لكل أمر أواناً » (الجامعة ٣ : ١) . ولما كان يحل اجتماع الاخوة ، كان هو يسرع كمن يهرب من نار للوصول إلى قلايته . وكان الاخوة يتناولون عادة ، بعد الإجتماع ، خبزاً وخمراً ، أمّا هو فلم يكن يجاريهم ، لا لأنه يمقت تقدمة الاخوة ، إنما كي يحتفظ بالصمت والسكينة . وحدث مرة أن اضطر إلى ملازمة قلايته بسبب وعكة صحية . فلما سمع به الاخوة ، قاموا ومضوا إليه . ولما جلسوا ، سألوه قائلين : يا أبانا اسحق ، لماذا تهرب من الاخوة بعد الصلاة ؟ قال لهم : أنا لا أهرب من الاخوة بل من حنكة الشياطين وحيلهم وحبائلهم ، لأنه لو أمسك أحد شمعة مضاءة وأطال وقوفه في الريح ، تنطفىء . هكذا هي حالنا تماماً عندما نستنير من التقدمة

المقدسة (الجسد والدم الطاهرين) ، فإن عقلنا يظلم إذا مشينا خارج قلالينا . هذه هي سيرة الأب القديس اسحق . [1]

الأب إيلاريون

١ ـ زار الأب إيلاريون من فلسطين الأب أنطونيوس في الجبل . قال له الأب أنطونيوس : اهلاً بك يا كوكب الصبح المنير . اجابه الأب إيلاريون : سلام لك يا عمود النور الذي يضيء المسكونة .

الأب اسخيريون

١ ـ تنبأ الآباء القديسون عن الجيل الأخير وقالوا : ماذا عملنا نحن ؟ أجاب أحدهم واسمه اسخيريون وقال : نحن أتممنا وصايا الله . قالوا أيضاً : والذين بعدنا ، ماذا سيفعلون ؟ قال : سيبلغون نصف ما وصلنا إليه . قالوا : والذين بعدهم ، ماذا سيفعلون ؟ قال : في ذلك الجيل لن يكون لهم عمل . فالتجارب ستأتيهم ، والمجرَّبون منهم ، يغتبرون ، في ذلك الوقت ، أفضل منا ومن آبائنا .

---

(١) إن كلمة « إجتماع » المستعملة كثيراً في الأدب الرهباني ، هي كناية عن القداس الإلهي ، وكلمة « التقدمة » ، تعني المناولة بالمفهوم الشعبي ، أي سر الشكر .

الأب كسيانوس

١ ـ قال الأب كسيانوس : زرت ، بصحبة القديس جرمانوس ، أحد آباء مصر ، ولما أضافنا سألناه : لأي سبب لا تحفظون قانون صومكم عندما تستقبلون اخوة غرباء ، كما تسلمنا في فلسطين ؟ أجاب قائلاً : الصوم معي دائماً . أمّا أنتم فلستم معي على الدوام . لا شك أن الصوم أمر نافع جداً وضروري ، إلاّ أنه اختياري . أمّا إتمام المحبة ، فتطلبه منّا شريعة الله بالضرورة . وإذا قبلت المسيح فيكم ، يجب عليّ أن أخدمكم بكل غيرة وحماس . ولكن عندما ترحلون أستطيع العودة إلى صومي الأول ، « لأن أصدقاء العريس لا يقدرون أن يصوموا ، ما دام العريس معهم . ولكن عندما يرفع عنهم ، حينئذ يصومون » .

٢ ـ هو نفسه قال : كانت ثمة عذراء بارّة قديسة تقوم بخدمة أحد الشيوخ . وكان الناس يقولون : هذان ليسا نقيين وطاهرين . فسمع الشيخ بهذا الكلام . ولما أوشك أن يغادر العالم ، قال للآباء : عندما أنتقل اغرسوا عصاي في القبر ، فإذا أينعت وأثمرت تفهمون أني كنت بريئاً من تهمة الناس ، وإذا لم تثمر تفهمون أني قد خطئت معها . وبعد موته ، غرسوا العصا في القبر ، فأينعت في اليوم الثالث وأتت بثمر ، فمجّدوا الله .

٣ ـ وقال أيضاً : كنت في زيارة شيخ آخر ، فقدّم لنا طعاماً . ولما أكلنا كفايتنا ، ألحّ علينا أن نأكل أيضاً . فقلت له : لم نعد قادرين على الأكل يا أبت . فأجاب : أنا بسبب الاخوة الزوار مددت المائدة ست مرات متوسلاً إلى كل

واحد أن يأكل ، وكنت بنفسي آكل معه ، ولا أزال إلى الآن جائعاً . أمّا أنتم فقد شبعتم من أكلة واحدة ولم تعودوا قادرين أن تأكلوا .

٤ ـ هو نفسه قال : زار الأب يوحنا رئيس أحد الأديار الأب بييسيوس الذي أقام ٤٠ سنة في صحراء بعيدة . ولما كان يحبه جداً ، قال له بدالة : ماذا جنيت كل هذا الزمان وأنت بعيد عن الناس لا يزعجك أحد ؟ قال : منذ أن أصبحت راهباً ، لم ترني الشمس آكل . قال الأب يوحنا : وأنا لم ترني أغضب .

٥ ـ لما أوشك الأب يوحنا أن يغادر هذا العالم وأن ينتقل باستعداد وفرح ، تحلّق حوله الاخوة وطلبوا منه أن يترك لهم كلمة موجزة نافعة بها يتمكنون من بلوغ الكمال في المسيح . فتنهد وقال : لم أفعل ، مرةً ، مشيئتي . كما أنني لم أعلّم أحداً ما لم أفعله أنا أولاً .

٦ ـ حدّثنا أيضاً عن شيخ كان يقيم في البرية أنه تضرع إلى الله أن يمنحه النعمة كي لا ينعس عندما يتلى عليه حديث روحي . وإذا كان الكلام باطلاً أو مجرد افتراء، كان ينام للحال . وذلك لئلا تذوق أذناه سمّاً كهذا . وكان يقول إن الشيطان غيور على الكلام الباطل ،وعدو لكل تعليم روحي . وقد ساق المثل التالي : بينما كنت أتكلم إلى بعض الاخوة ، من أجل المنفعة ، للحال غطوا في نوم عميق ، حتى أنهم لم يقدروا أن يحرّكوا رموش أعينهم . فأردت أن أظهر فعل الشيطان ، فأدخلت حديثاً باطلاً ، للحال انتفض الجميع بفرح ، فقلت متنهداً : حتى اللحظة التي كنت فيها أكلمكم على الأمور السماوية ، كانت عيونكم مثقلة بالنعاس ، لكن ، ما إن خرج من فمي كلام باطل ، حتى نهضتم تسمعونه بلهفة . لهذا يا اخوتي ، استحلفكم بالله أن تنتبهوا لفعل الشرير وإلى أنفسكم من النعاس ، عندما تفعلون أمراً روحياً أو تسمعونه .

٧ ـ وقال أيضاً : إنسان رفيع الشأن أراد أن يترك العالم ، فوزع أملاكه وأمواله على الفقراء واحتفظ لنفسه بالقليل ، غير مريد أن يقبل التواضع الآتي من

التخلي الكامل والخضوع الأصيل لقانون حياة الشركة . فقال عنه القديس باسيليوس : لقد فقدت الغنى ، لكنك لم تصبح راهباً .

٨ ـ وقال أيضاً : كان ثمة راهب يعيش في أحد كهوف البرية . فأخبره أنسباؤه قائلين : إن أباك يتألم كثيراً وقد أشرف على الموت . تعال إذن ليكون لك الميراث . أجابهم : لقد مت عن العالم قبله فالميت لا يرث الحي .

الأب كرونيوس

١ ـ قال أخ للأب كرونيوس : قل لي كلمة . أجابه الأب : عندما اقترن أليشع بالشونمية ، وجد أن ليس لها علاقة بأحد ، فحبلت وولدت إبناً بحضور ألشيع (٤ مل ٤ : ١٦) . فقال له الأخ : وما معنى هذا الكلام يا أبت ؟ أجابه الشيخ : النفس إذا سهرت وجمعت ذاتها من التشتت وهجرت إرادتها ، يستقر عليها روح الله ، فتلد ، ولو كانت عاقراً .

٢ ـ سأل أخ الأب كرونيوس قائلاً : ماذا أفعل بالنسيان الذي يأسر عقلي ويتركني بدون شعور أو إحساس ، حتى إنه يقودني دائماً إلى الخطيئة ذاتها ؟ أجابه الأب : عندما أخذ الغرباء تابوت العهد بسبب أعمال أبناء إسرائيل ، جرّوه حتى وصلوا به إلى بيت داجون إلههم ، فسقط هذا على وجهه (١ مل ٥ : ١) ، و « الداجون هو التمثال » . قال الأخ : وما معنى هذا يا أبت ؟ أجابه الشيخ : إذا جاؤوا ليستعبدوا ذهن الإنسان من منطلقاته الخاصة ، فإنهم سيجرّونه إلى الهوى غير المنظور . وهناك ، إذا التفت الذهن وطلب الله ذاكراً الدينونة الأخيرة ، للحال يسقط الهوى ويتلاشى ، لأنه كتب : « إذا استدرت وتنهدت ، تخلص ، وتعلم أين كنت » (أشعيا ٣٠ : ١٥) .

٣ ـ سأل أخ الأب كرونيوس قائلاً : كيف يبلغ الإنسان إلى التواضع ؟ قال له الشيخ : بمخافة الله . قال الأخ : وكيف يصل إلى مخافة الله ؟ أجابه الشيخ : أظن أنه يتم له ذلك عندما يجمع ذاته ويسلم نفسه للتعب الجسدي متذكراً ، من كل قلبه ، ساعة خروجه من هذا العالم ، ودينونة الله .

٤ ـ قال الأب كرونيوس : لو لم يوجّه موسى خرافه إلى سفوح جبل سيناء ، لما رأى النار في العليقة (خروج ٣) . فسأله الأخ : وما معنى العليقة يا أبت؟ أجاب : العليقة هي الفعل الجسدي ، لأنه مكتوب « يشبه ملكوت الله كنزاً مخفياً في حقل . . . . . » (متى ١٣ : ٤٤) . فقال الأخ : إذن بدون التعب الجسدي لا ينمو أحد في الشرف والفضيلة ؟ قال له الشيخ : لقد كتب « ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمّله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب » (عبرانيين ١٢ : ٢) . ويقول النبي داود: « لن أعطي لعيني نوماً ، ولا لأجفاني نعاساً ، ولا لصدغي راحة حتى أجد مقراً للرب . . . . . » (مزمور ١٣١ : ٤) .

٥ ـ قال الأب كرونيوس : حدّثنا الأب يوسف البيلوسيوسي أنه ، لما أقام في سيناء ، كان فيها أخ صالح ناسك وجميل الهيئة . هذا كان يأتي إلى الكنيسة لابساً ثوباً بالياً كثير الرقع . فلما رآه يرتاد الكنيسة باستمرار ، قال له : ألا ترى يا أخي كيف أن الاخوة كالملائكة في الكنيسة . فكيف تأتي إلى هنا هكذا ؟ أجابه الأخ : سامحني يا أبت إذ ليس عندي سوى ما تراني فيه . فأخذه الأب إلى قلايته وأعطاه ما كان بحاجة إليه ، فلبسه وصار ملاكاً كسائر الاخوة . وحدث أن احتاج الآباء الى عشرة اخوة يرسلونهم إلى الملك لأمر ما ، فاختاروا هذا واحداً منهم . فلما سمع بهذا ، ركع أمام الآباء وقال : من أجل الرب سامحوني ، لأني كنت خادماً عند واحد من هؤلاء الكبار . فإذا عرفني ، سيلزمني بالبقاء لخدمته . فاقتنع الآباء ولم يرسلوه . ثم علمت من إنسان كان يعرف هذا الأخ جيداً ، أنه ، عندما كان في العالم ، كان رئيساً . فلكي لا يتعرّف عليه أحد ويزعجه الناس ، زعم هذا الزعم . لقد كان عند الآباء مثل هذه القوة كي يتحاشوا المجد والراحة الآتيَنْ من العالم .